المبتدأ بين القديم والحديث :

مقارنة بين النظرية النحوية القديمة والنظرية الوظيفية الحديثة

The beginning between ancient and modern: A comparison between ancient grammatical theory and modern functional theory

د.عبد الغني بن أحمد*
المركز الجامعي بريكة (الجزائر)
Abdelghani.benahmed@cu-brika.dz

أ.د. يحي بعيطيش
جامعة منتوري قسنطينة (الجزائر)
Yahia.baitiche@gmail.com

تاريخ الإرسال24 -2024-01	تاريخ التقييم:27-06-2024	تاريخ القبول:06-07-2024

الملخص:

نحاول في هذه الدراسة أن أقدم مقارنة لمفهوم " المبتدأ " بين النظرية النحوية القديمة والنظرية الوظيفية الحديثة ، انطلاقا من تعريف المبتدأ في كل نظرية ، وبيان خصائصه التداولية والبنيوية بينهما ، بالاعتماد على تحليل بعض الأمثلة التي تكشف لنا نقاط التشابه والاختلاف بينهما في محاولة جادة لتقييم صلاحية كل منهما من حيث الدقة والشمولية ومردودهما العلمي النظري والتعليمي البيداغوجي .

كلمات مفتاحية: النظرية؛ النحوية؛ المبتدأ؛ التداولية؛ البنيوية؛ التعليمي.

Abstract:

……. In this study, we attempt to provide a comparison of the concept of "the subject" between ancient grammatical theory and modern functional theory, based on the definition of the subject in each theory, and an explanation of its pragmatic and structural characteristics between them, relying on the analysis of some examples that reveal to us the points of similarity and difference between them in a serious attempt to evaluate the validity of each. Both of them in terms of accuracy and

comprehensiveness and their theoretical scientific and educational pedagogical impact.
Keywords:the theory; grammatical; beginner; Pragmatics; Structuralism; Educational.

*المؤلف المراسل:

1. تعريف المبتدأ بين القديم والحديث :

تسهيلا لمتابعة الدراسة ، نقترح تعريفا موجزا لمصطلح " المبتدأ " بين النظرية النحو القديمة والنظرية النحوية الحديثة ، ببعض الأمثلة المشتركة بينهما ، مبرزين نقاط التشابه والاختلاف بينهما (لندعم التحليل المفيد والمقنع الذي نتبناه في وقتنا الحاضر) .

1 . 1 تعريف " المبتدأ " في النحو القديم :

يقول سبويه[1] في تعريف المبتدأ بأنه " هو الاسم الذي يبنى عليه ما بعده "، كقولنا :

1 . هذا عبد الله منطلقا

ف " هذا " اسم "مبتدأ" بني عليه ما بعده ، وهو عبد الله ، ولم يكن ليكون هذا كلاما ، حتى يبنى عليه .. فالمبتدأ إنما يذكر كي يخبر عنه ، ولذلك يكون المبتدأ معرفة ليكون معلوما عند المخاطب ، فتحصل الفائدة ، لأنه مخبر عنه ، والإخبار عما لا يعرف لا فائدة منه ، وعلى هذا صار أصل المبتدأ التقديم ، لأنه محكوم عليه ، ولابد من وجوده قبل الحكم ، أما الخبر فهو الجزء المتمم الفائدة[2] ..

ويقول ابن يعيش[3] : " اعلم أن خبر المبتدأ هو الجزء المستفاد الذي يستفيده السامع ، فيصير مع المبتدأ كلاما تاما ، إذ به يقع التصديق والتكذيب ؛ ألا ترى أنك إذا قلت :

2 . عبد الله منطلق

فالصدق والكذب إنما هو واقع في انطلاق عبد الله ، لا في عبد الله ، لأن الفائدة في انطلاقه ، وإنما ذكرت عبد الله ،وهو معروف عند السامع ، لتسند إليه الخبر الذي هو الانطلاق ، ولما كان أصل المبتدأ التقديم ، صار حق الخبر التأخر عنه ، لأنه وصف له في المعنى ، وحق الوصف أن يتأخر عن الموصوف[4] ..

1 . 2 تعريف " المبتدأ " في النحو الوظيفي :

يعرف " المبتدأ" (**Theme**)في النحو الوظيفي: بأنهو ما يحدد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردا " [5].. من ذلك مثلا جملة :

3 . مدينة أبها تمتاز بشواطئها الجميلة

حيث يميز في هذه الجملة بين ركنين أساسيين : حمل (جملة إسنادية) [تمتاز بشواطئها الجميلة] ومبتدأ (مدينة أبها)، وهو الذي يحدد المجال الذي يعتبر إسناد الجملة أو مجموع الحمل واردا بالنسبة إليه ، ويمكن توضيح ذلك بالشكل التالي :

إلمسند إليه " الموضوع " + مسند " محمول" (بنية حملية " أوإسنادية)

مبتـد أ خـبـــر(بؤرة جديـد)

والسؤال الذي يفرض نفسه في الجملة السابقة هو هل الخبرأو مضمون البنية الحملية أو الإسنادية (تمتاز بشواطئها الجميلة) وارد ؛ أي مقبول إسناده إلى المسند إليه أو(المبتدأ " مدينة أبها) ؟

الجواب بالنفي في نظرية النحو القديم أو النحو الوظيفي ، فالأولى ترى حسب ابن يعيش أن ألخبر الذي يسند إلى المبتدأ هو مناط الصدق والكذب ، كاذبة[6] ؛لأنها لا تطابق الواقع الذي يعرفه المتكلم والسامع عن مدينة أبها ، كما أن الجملة لاحنة في النحو الوظيفي لخرقها قيد أو شرط الورود المرتبط بالمقام[7]لأن مدينة أبها مدينة غير ساحلية .

3 . 1 الخصائص التداولية والبنيوية للمبتدأ :

يتميز المبتدأ إن في النظرية النحوية القديمة أو النظرية النحوية الوظيفية القديمة بخصائص تداولية مرتبطة بالمقام وعملية التبليغ أو التواصل بصفة عامة ، وخصائص بنيوية مرتبطة بالجانب المادي الشكلي الذي تتجسد فيه الأنماط التركيبية المختلفة للمبتدأ، مع ملاحظة أن هناك تفاوت بين النظريتين في احترام هذه الخصائص وخرقها من جهة ، والالتزام بها جزئيا أو كليا من جهة أخرى ، كما يتضح لنا في تحليل بعض الجمل في مكانه المناسب ..

1 . 3 . 1 الخصائص التداولية :

يتميز المبتدأ في النظرية النحوية القديمة بصفة عامة ، وفي نظرية النحو الوظيفي بصفة خاصة ، بجملة من الخصائص التداولية ، يمكن إجمالها في الآتي :

أ . خاصية الورود : وهي الخاصية التي سبق شرحها والتي تبين من خلالها أن الجملة قد تكون لاحنة أو غير سليمة ، ومرد ذلك إلى أن مضمون حملها أو خبرها لا يتفق مع الموضوع المحدث عنه في الجملة التي نعيدها للتذكير:

3 . مدينة أبها ، تمتاز بشواطئها الجميلة

لأن مدينة أبها غير ساحلية ،فهي كاذبة أو غير واردة ، وبالتالي فإن الحمل أو الخبر الوارد أو المناسب لها ، هو " تمتاز بجوها المعتدل " مثلا في جملة :

4 . مدينة أبها ، تمتاز بجوها المعتدل

ب . خاصية الإحالة : تتمثل إحالية المبتدأ في كونه معلومة مشتركة بين المتكلم والسامع ، يتقاسمها كل منهما ، انطلاقا من معرفتهما بالعالم الخارجي ، أومن الوضع التخابري بينهما ، فهذه المعرفة المشتركة هي التي تفند أو تؤيد خاصية الورود السالفة الذكر،فيكون مضمون الخبر أو البؤرة غير مقبول أو كاذبا

كما وضحناه في جملة " مدينة أبها ، تمتاز بشواطئها الجميلة " أو " مدينة أبها ، تمتاز بجوها المعتدل فضلا على أن عملية التبليغ أو التواصل لا تتم بين المتكلم والسامع ، إذا لم تنطلق من موضوع أومعلومة مشتركة بينهما ، يبنى عليها الخبر؛ فلو قلت لسامعك مثلا :

5 . السقنقور جميل

لبادرك بسؤاله عن المحدث عنه ، أو موضوع الحديث الذي يجب أن يكون معروفا لديه

6 . ما هو السقنقور؟

وقد أشار النحاة القدماء إلى خاصية الإحالة باشتراطهم قيد التعريف في المبتدأ ، بأن يكون معرفة ،لأنه لا يصح الإخبار عن المجهول ، مثل " السقنقور؟ " في جملة " السقنقور جميل " ، أو الإخبار عن نكرة مثل :

7 . رجل ، سافر أبوه

على أن معرفية المبتدأ تعتمد المعيار التداولي المرتبط بالمقام ،الذي يجعل السامع يهتدي إلى المحال عليه وليس المعيار التركيبي الذي يكتفي (بدخول الألف واللام ، أو الإضافة ..) فقط .

ج . خاصية الارتباط بعملية التبليغ (التواصل) بصفة عامة والمقام بصفة خاصة :

المبتدأ وظيفة تداولية مرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية التواصل ، أي بعناصره الأساسية :

المتكلم والسامع وما يرتبط بهما من معرفة مشتركة عن العالم الخارجي (الزمان والمكان)

والمجتمع الذي يعيشان فيه وما فيه من عادات وتقاليد وقيم ثقافية ، فضلا عن ارتباطه بالمقام السياقي الذي يعكس العلاقات الشخصية بين المتكلم والسامع وأغراضهما من الكلام الدائر بينهما ..

وبذلك يكون المبتدأ وظيفة تداولية ترتبط بمقام الجملة ، تختلف عن الوظيفة الحملية أو الإسنادية وعن الوظيفة الدلالية أو الوظيفة النحوية للجملة ، وبالتالي لا يكون للمبدأ وظيفة دلالية ولا وظيفة نحوية[8] .

2 . 3 . 1 **الخصائص البنيوية :**

أ . احتلال الصدارة : المبتدأ مركب اسمي ، يحتل دائما الصدارة في الجملة ، ولا يمكن أن تتقدم عليه بؤرته(أو خبره) أو يتأخر عنه ، بخلاف المبتدأ في النحو القديم ،الذي يمكن أن يتقدم عليه خبره ، فيتأخر ويقع بعد الخبر ، مثل :

8 . سافر أبوه ، علي

حيث يعتبر " علي " في هذه الجملة " مبتدأ مؤخر " ، في حين أن " علي " في نظرية النحو الوظيفي يحمل وظيفة تداولية أخرى غير وظيفة ألمبتدأ ، لأن المبتدأ يحتل دائما صدارة الجملة

ب . الاستقلال عن حمل الجملة : المبدأ مركب اسمي ، مستقل عن حمل الجملة ، فهو ليس موضوعا من موضوعات محمول البنية الحملية ، لا يحمل وظيفة دلالية ولا وظيفة نحوية ، لأنه خارج عن البنية الحملية أو الإسنادية للجملة ، ويستدل على خارجية المبتدأ بإمكانية فصله عن حمله أو خبره باستفهام أو نفي ، مثل :

9 . علي ،**هل** حضر الاجتماع اليوم ؟

10 . علي ،**لم** يحضر الاجتماع اليوم

حيث أن الاستفهام أو النفي لم ينصب على المبتدأ " علي " ، وإنما انصب على مضمون البنية الحملية

(أو خبر الجملة) .

ج . خاصية الرفع : المبتدأ يكون مرفوعا دائما ، ويرفع بوظيفته التداولية في النحو الوظيفي ، أو بالابتداء في النحو القديم ، فهو لا يتأثر بمحمول الجملة نحويا أو معجميا ، فمن الناحية النحوية لآ يكون المبتدأ معمولا للفعل أو ما يشبه الفعل ، مثل :

11 . علي ، سافرت أخته إلى العاصمة ، أو

12 . علي سافر إلى العاصمة

حيث نجد " المبتدأ : علي " مرفوعا بالابتداء أو بوظيفته التداولية ،ولم يتأثر بالفعل "سافرت" لأن هذا الأخير عمل الرفع في الفاعل ، الاسم الظاهر " أخته " وفي الضمير المستتر" هو " في جملة

" علي سافر.. " ، وبالمثل مع شبه الفعل ، مثل :

13 . علي ، أمسافر أخوه ؟

ومن الناحية المعجمية يلاحظ أن محمول جملة البؤرة (أو الخبر) لا يفرض قيوده المعجمية الدلالية على " المبتدأ " مثل :

14 . البيت ، شرب صاحبه قهوة

حيث يفرض الفعل " شرب " من الناحية الدلالية موضوعين : ذاتا شاربة ، وسائلا مشروبا ، كما هو واضح في الجملة ، ولا يفرض القيدان الدلاليان على المبتدأ " البيت " وخرق هذين القيدين يجعل الجملة لاحنة ، مثل :

15 . البيت ، شربت نوافذه قهوة ، أو

16 . البيت شرب صاحبه تفاحة .

د . عدم المطابقة : يتميز المبتدأ بعدم مطابقته لمحمول جملة خبره ، إن من حيث التذكير والتأنيث ، أو من حيث العدد ، مثل :

17 . علي ، تدرس أخته في الجامعة

18 . علي أخواه مسافران

2 . **التحليل النحوي للأنماط التركيبية المبتدئية بين النحو القديم والنحو الوظيفي :**

تمهيد : سنفحص أدناه جملة من التراكيب التي تعكس صورا شكلية تركيبية للمبتدأ ضمن جمل اسمية بسيطة ، نبرز من خلالها مواطن التشابه والاختلاف بين النظريتين ، ومدى التزامهما أو خرقهما للخصائص التداولية أوالبنيوية التي سبق توضيحها .

الأمثلة :

19 . علي ، مسافر أبوه

20 . علي ، سافر أبوه

21 . سافر أبوه ، علي

22 . علي مسافر

23 . علي في البيت

24 . علي أمام البيت

25 . علي أسد

26 . أمسافر علي ؟

27 . أفي البيت علي ؟

28 . أأمام البيت علي ؟

29 . أأسد علي ؟

30 . أفي البيت رجل ؟

31 . أعندك رجل

32 . عندي كتاب

33 . رجل في البيت

يلاحظ بالنسبة للجملة (19،20) تشابها كبيرا بين النحو القديم والنحو الوظيفي الحديث،فهما جملتان اسميتان مكونتان من ركنين : الركن الأول" علي " هو المبتدأ الذي يتصدر الجملة ، والركن الثاني (جملة اسمية : " مسافر أبوه ") ، أو جملة فعلية :"سافر أبوه" ، هو البؤرة(بؤرة الجديد) أو الخبر.

فالتشابه كبير بين النظريتين ، يصل إلى درجة الانطباق التام في الجملة (20) ، فكلاهما يعتبر العنصر المتقدم " علي " مبتدأ مرفوع ، بؤرته أو خبره الجملة الاسمية " مسافر أبوه " أو الجملة الفعلية " سافر أبوه " ، مع اختلاف بسيط بينهما في عبارتي (المبتدأ والخبر/ المبتدأ وبؤرة الجديد) ، فضلا عن اختلافهما في احترام الخصائص التداولية ، إذ يلاحظ مثلا في الجملة ا(19) " علي مسافر أبوه " أن بؤرتها أو خبرها يتكون في النحو القديم من

جزئين ، هما : المبتدأ الثاني " مسافر " وخبره " أبوه " مما يترتب عنه خرق لخاصية الإحالة التي تشترط أن يكون المبتدأ معرفة ، وليس نكرة " مسافر " ، فضلا عن عدم احترام أو خرق خاصية بنوية أساسية هي اشتراط تصدر المبتدأ للجملة ، وبهذا الخرق يصبح لدينا في النحو القديم مبتدآن : أحدهما : المبتدأ المتصدر للجملة الذي يحترم الخصائص التداولية والبنيوية كما هو الحال مع الجملة (20) التي يتصدرها مبتدأ يتلوه بؤرة أو خبر(جملة فعلية) ، والمبتدأ الثاني الذي لا يحترم خاصيتي : الإحالة والصدارة ، كما هو الحال مع الجملة (19) .

وعلى خلاف ذلك ، نجد النحو الوظيفي يلتزم بالخصائص التداولية والبنيوية في الجملتين السابقتين ، باعتبار كل منهما جملة مبتدئية ، تبتدئ كل منهما بمبتدأ مستقل عن حمله ، يتلوه بؤرة جديد أو خبر(جملة اسمية مكونة من مركب وصفي أوصفي " مسافر " يتلوه فاعل " أبوه " أو من جملة فعلية مكونة من الفعل " سافر" وفاعله المركب الاسمي " أبوه " أما الجملة (21) " سافر أبوه ، علي ، فهي محل خلاف كبير بين النظريتين ، إذ يعتبرها النحو القديم جملة مبتدئية مكونة من خبر مقدم " سافر أبوه " ومبتدأ مؤخر " علي " وهنا نجد أنفسنا أما م نوع ثالث من المبتدأ ، هو " المبتدأ المؤخر " الذي يخرق خاصية بينيوية أساسية للمبتدأ ، وهي خاصية الصدارة .

غير أن هذه الجملة في نظرية النحو الوظيفي الحديثة جملة غير مبتدئية ، لأنها لا تستجيب للخصائص التداولية ولا الخصائص البنيوية للمبتدأ،على اعتبار أن المبتدأ يتميز بخاصية تداولية أساسية تتمثل في تحديده لمجال الخطاب ، الذي ينطلق من موضوع متعارف عليه من قبل المتكلم والسامع يجسده مركب اسمي يقع وجوبا في بداية الجملة ، لتحمل عليه بؤرة أو خبرا ينتظره السامع ، وبالتالي فإن البؤرة أو الخبر في النحو الوظيفي لا يتقدم على المبتدأ ، وعليه فإن هذه الجملة التي تنتهي بمركب اسمي " علي " له ارتباط وثيق بالضمير المتصل " أبوهِ " لكنه مثل " المبتدأ " مفصول عن جملة " سافر أبوه " فهو مكون خارج عن حمل الجملة ، مثل المبتدأ لا يتأثر بمحمول الجملة " سافر" نحويا أو دلاليا ، لكنه يحمل وظيفة تداولية جديدة هي وظيفة " الذيل " فهو جملة مذيلة ، مرتبطة بطبقة مقامية محددة ، مكونة من جزئين : في الجزء الأول ، يعطي المتكلم معلومة معينة للسامع ، وفي الجزء الثاني يلاحظ المتكلم أن المعلومة التي أعطاها ، ليست واضحة الوضوح الكافي ،

فيضيف المعلومة التي توضحها أو تزيل إبهامها ، ففي الجملة السابقة ، كان المتكلم قد وجه معلومة للسامع تتعلق بسفر الأب ، وهو يظن أن سامعه يعرف أن الأب المقصود هو أب علي ، لكنه ربما لاحظ من ملامح سامعه الذي يكلمه وجها لوجه مثلا أنه لم يتعرف على الأب المحال عليه بضمير الغائب" أبوه" ، فيبادر إلى توضيح إبهام الضمير بإضافة المعلومة التي تجعل السامع يتعرف على المحال عليه " علي" ، وبذلك يكون " الذيل" وظيفة تداولية ، توضح معلومة داخل حمل الجملة ، فنكون أمام ذيل توضيح كما سبق التمثيل له ، أو ذيل تعديل ، كما في قولنا :

34 . أعجبني علي ، سلوكه

فيكون المركب الاسمي " سلوكه " ذيل تعديل للمركب الاسمي " علي" السابق في حمل الجملة ، أو ذيل تصحيح كما في قولنا :

35 . جاء علي ، بل خالد

فيكون المركب الاسمي "خالد " ذيل تصحيح للمركب الاسمي السابق " علي" .

أما الجمل (22 ، 23 ، 24 ، 25) هي كذلك محل خلاف كبير بين النظرية النحوية القديمة و الحديثة ، فهي في النحو القديم جمل مبتدئية يتصدرها مبتدأ، هو المركب الاسمي " علي " يتلوه خبر مفرد " مسافر" هو مركب وصفي مشتق، في الجملة (22) ،أو مركب اسمي جامد مؤول بمشتق " أسد " في الجملة (25) ، أوشبه جملة (جار ومجرور" في البيت " ، أو ظرف " أمام البيت ") ، كما في الجملتين (23 ، 24) ..

أما في النحو الوظيفي فإن الجمل السابقة ، ليست جملا مبتدئية ، وإنما هي جمل محورية ، يتصدرها محور، هو المركب الاسمي " علي " يتلوه مركب وصفي مشتق" مسافر" هو بؤرة الجديد أو الخبر، في الجملة (22) ، أو مركب اسمي جامد " أسد " في الجملة (25) ، أو مركب حرفي (جار ومجرور" في البيت " ، أو مركب ظرفي " أمام البيت ") ، كما في الجملتين (23 ، 24)..والمحور وظيفة تداولية مرتبطة بالمقام ، فهو كالمبتدأ محدث عنه ، أي هو موضوع أو معلومة مشتركة بين المتكلم والسامع ، لكن الفرق بينهما أن المحور محدث عنه داخل حمل الجملة ، بخلاف المبتدأ فهو محدث عنه خارج حمل الجملة الخبرية التي تتلوه ، وخارجيته تبعد عنه تأثير الفعل أو ما في حكمه ، فلا يطابقة تذكيرا أو تأنيثا أوعددا ، ولا

يأخذ وظيفة دلالية أو نحوية . كما سبق توضيحه . بخلاف المحور الذي يطابق محموله تذكيرا وتأنيثا وعددا ويأخذ إلى جانب وظيفته التداولية وظيفة دلالية ووظيفة نحوية[9] ... غير أن الجمل (26 ، 27 ، 28 ، 29) محل توافق بين النظرية النحوية القديمة و الحديثة ، فهي في النحو القديم جمل مبتدئية ، تقدم فيها الخبر المفرد " مسافر " على المبتدأ، في الجملة (26) ، و الجار والمجرور " في البيت " في الجملة(27) ، والظرف " أمام البيت في الجملة(28) " والاسم الجامد " أسد " في الجملة (29) ، مع ملاحظة أن الجمل السابقة كلها تصدرها حرف الاستفهام (الهمزة) ، وفي هذا الإطار يرى أغلب النحاة القدماء أن التراكيب السابقة باعتمادها على الاستفهام أو النفي يجوز أن تعرب إعرابا ثانيا خلافا للأول ، بحيث يكون المركب المشتق " مسافر " في المثال (26) ، والمركب الجامد
" أسد " المؤول بمشتق " شجاع " في المثال (29) ، مبتدأ وصف ، والمركب الاسمي " علي " في الجملتين فاعل سد مسد الخبر ، وكذا الجار والمجرور" في البيت " أو الظرف " أمام البيت " مبتدأ وصف ، والمركب الاسمي" علي " في الجملتين(27 ، 28) فاعل سد مسد الخبر.

وفي هذه القضية تفصيل وخلاف بين النحاة القدماء ، فأما التفصيل فيتعلق بتجويز إعراب مكونات الجمل السابقة الواردة بعد الاستفهامإعرابين مختلفين : أولهما : اعتبار ما بعد الاستفهام أو النفي خبرا مقدما ، يليه مبتدأ مؤخر ، وهذا الإعراب إعراب تداولي يختلف اختلافا كبيرا عن النحو الوظيفي ، كما سبق توضيحه ، أما الإعراب الثاني المتعلق بالمبتدأ الوصف ، الذي يليه فاعل سد مسد الخبر ،كما مر بنا ، فإنه يطابق نظرية النحو الوظيفي مطابقة شبه تامة ، مع خلاف بسيط بينهما في العبارة ؛ لأن مصطلح
" المبتدأ الوصف " في حقيقته التركيبية لا يخرج في الجملة الاسمية البسيطة عن " المركب الوصفي " المشتق ، أو " المركب الاسمي " الجامد المؤول بمشتق ، أو المركب الحرفي " الجار والمجرور " أو المركب الظرفي " ، فما يجمع بين هذه المركبات في النحو الوظيفي ، وأنماط المبتدأ الوصف في النحو القديم ، هو أنها تؤدي مهمة الفعل أو شبه الفعل لما بينها من تشابه لدلالة الفعل ووظيفته ، في رفع الاسم بعدها على أنه فاعل[10] ، مما يدل دلالة واضحة على استجابة النحو الوظيفي لمفاهيم وتحليلات النحو القديم من داخله لا من

خارجه[11] ، إذا استثنينا التعبيرات المختلفة بينهما ، وتجاوزنا بعض التفاصيل والخلافات بين النحاة القدماء أنفسهم ..

ويترتب على هذا التطابق ثلاث ملاحظات أساسية :

أ . مفاد الأولى أن النحو القديم يتقاطع مع النحو الوظيفي على مستوى الجملة الاسمية البسيطة ، في التمثيل للوظائف التداولية ، ويتطابق معه في التمثيل للوظائف التركيبة (النحوية) ، أما على مستوى الجملة الفعلية فإن النحو القديم لا يمثل للوظائف التداولية ولا للوظائف الدلالية ، ويكتفي بالوظائف التركيبية النحوية فقط .

ب . ومفاد الثانية أن النحاة القدماء ، يجوزون إعراب مكونات الجمل السابقة الواردة بعد الاستفهام أن تعرب خبرا مقدما ، يليه مبتدأ مؤخرا ، أو مبتدأ وصف ، يليه فاعل سد مسد الخبر ، إذا كان المبتدأ الوصف يطابق الفاعل (في الجنس أو العدد ..) كما مر في الجمل السابقة ، وفي حالة عدم المطابقة ، يتوجب إعراب ما بعد المبتدأ الوصف فاعلا ، ولا يجوز إعرابه مبتدأ مؤخرا ؛ ففي أمثلة من قبيل :

36 . أقائم الولد

37 . أقائم الولدان

38 . أقائم الأولاد

فإنه في الجملة (36) يجوز وجهان (الخبر المقدم مع المبتدأ المؤخر، أو المبتدأ الوصف والفاعل الساد مسد الخبر) ، في حين لا يجوز في الجملتين(37 ، 38)(الخبر المقدم والمبتدأ المؤخر) ، بل يتوجب الوجه الثاني(المبتدأ الوصف والفاعل الساد مسد الخبر)، وبالمثل يجوز في شبه الجملة في الجملتين (27، 28) أن يعرب المركب الاسمي" علي " فيهما فاعلا بفعل " استقر " أو باسم " الاستقرار" المحذوفين عند ألبصريين ، أو بالجار والمجرور" في البيت " والظرف " أمام البيت " مباشرة دون تقدير محذوف عند الكوفيين[12] .

ج . ومفاد الملاحظة الأخيرة ، عدم إجماعهم على اشتراط اعتماد المبتدأ الوصف على استفهام أو نفي عند البصريين ، وانتفاء هذا الشرط ، عند الكوفيين ؛كما جاء في استشهاد ابن مالك

39 . " فائز أولو الرشد "[13] .

ويبقى جوهر الخلاف بينهما قائما ، يمكن تلخيصه في نقطتين أساسيين :

أ . انطلاقا من مبدأ وظيفي عام يربط البنية(بنية الكلمة أو الجملة أو النص) بالوظيفة التبليغية (أو التواصلية) ، يميز النحو الوظيفي بين ثلاث وظائف أساسية هي على التوالي : الوظائف الدلالية ، الوظائف التركيبية(النحوية)، الوظائف التداولية .

ب . وانطلاقا من توجه عاملي محض ، يركز النحو القديم بصفة خاصة على الوظائف التركيبية (أو النحوية) ، مع غياب جزئي للوظائف التداولية وغياب تام للوظائف الدلالية ؛ لذا اقتربت الوظائف التركيبية (النحوية)للمبتدأ الوصف ، مع الوظائف التركيبية(النحوية) للنحو الوظيفي اقترابا كبيرا ، مع اختلاف بسيط بينهما في التعبير الاصطلاحي ، مع ملاحظة بعض التقاطعات بينهما في الوظائف التداولية ، خاصة في الجملة الاسمية ، ذلك أن النحو القديم انطلاقا من توجهه العاملي يكتفي بالوظائف التركيبة (النحوية) وحدها على مستوى الجملة الفعلية ، مع غياب تام للوظائف التداولية و الدلالية ، لكنه على مستوى الجملة الاسمية ، يزاوج بين الوظائف التركيبية(النحوية) العاملية التي سبق توضيحها والوظائف التداولية السياقية المرتبطة بالمقام ، مما يدل دلالة واضحة على التمثيل للوظائف التداولية في النحو القديم ، كما لاحظناه في التطابق التام في وظيفة المبتدأ بين النحو الوظيفي والنحو القديم في الجملتين (29 ، 30) مع ملاحظة خرق بعض شروط المبتدأ البنيوية والتداولية ، كالقول بالمبتدأ المؤخر في الجملة (21)،والخلط بين مصطلح المبتدأ والمحور في الجمل(22 ، 23 ، 24 ، 25) ، كما يلاحظ الخلط بين الوظائف التركيبية(النحوية) والوظائف الدلالية ، إن على مستوى الجملة الفعلية أو الاسمية ، من ذلك مثلا : الخلط بين الوظيفية النحوية الفاعل والوظيفة الدلالية " المنفذ " وما يحاقله[14] ، وإدراج الوظائف الدلالية : الزمان المكان والعلة والمصاحب ، ضمن مقولات نحوية تركيبية ، مقابلة للمفعول فيه والمفعول لأجلة والمفعول معه على التوالي ..

وقد أو قع هذا الخلط النحاة القدماء في بعض الإشكالات والتناقضات ؛ كخلطهم بين الفاعل التركيبي النحوي ، و" المنفذ " أو الفاعل الدلالي الذي يقوم بالفعل حقيقة ، فتجدهم يسوون بين وظيفة الفاعل التركيبي والوظيفة الدلالية المقابلة له ، كما يتضح من الجمل التالية :

40 . فتح علي الباب

41 . مات علي البارحة

42 . انفتح الباب

فالمركب الاسمي " علي " في الجملتين (40 ،41) ، والمركب الاسمي " الباب في الجملة (42) " فاعل " في النحو القديم والنحو الوظيفي ؛ أي الفاعل التركيبي المرتبط بالخصائص البنيوية المتعلقة بورود وظيفة الفاعل بعد الفعل وجوبا في الجملة الفعلية ، ووجوب رفعه ، وليس الفاعل الدلالي المرتبط بالسمات الدلالية المرتبطة بتجربة المتكلم/السامع في عشيرته اللغوية وعاداته وثقافته بصفة عامة ، فالفاعل النحوي " علي " في المثال (40) " فتح علي الباب " قد يطابق الفاعل الدلالي(أو المنفذ) الذي يقوم فعلا بعملية الفتح ، لكنه يختلف عنه اختلافا كليا في المثال (41 ، 42) ، إذ لا يعقل أن يكون الفاعل النحوي " علي " في جملة " مات علي البارحة " هو الفاعل الدلالي " المنفذ " الذي قام بفعل الموت ، ولا الفاعل النحوي " الباب " هو الذي قام بفعل الفتح في جملة " انفتح الباب " ، فكلاهما (علي،الباب) يحمل وظيفة دلالية مخالفة لوظيفة المنفذ ، وهي وظيفة " المتقبل " الذي يتقبل عملية الموت أو عملية الفتح في المثالين (41 ، 42) على التوالي ، وبذلك نخلص إلى القول بأن الوظيفة التركيبية النحوية شيء ، والوظيفة الدلالية شيء آخر..

أما الجمل الأخيرة (30 ،31 ، 32 ، 33) فهي محل خلاف و توافق بين النظرية النحوية القديمة و الحديثة فهي في النحو القديم جمل مبتدئية ، تقدم فيها الخبر شبه الجملة " في البيت " على المبتدأ

" رجل " في الجملة (30)، و الظرف" عندك " في الجملة (31) ، مع ملاحظتين أساسيتين على الجملتين السابقتين، هما : أن الجملتين تصدرهما حرف الاستفهام (الهمزة) ، وأن المبتدأ فيهما " كتاب ورجل " نكرة غير معرفة ، وهنا محل الخلاف بين النحو القديم والنحو الوظيفي ، لأن من خصائص المبتدأ أن يتصدر الجملة ، بحيث يكون رأسا متقدما على بؤرته (خبره)،ولا يتأخر كما سبقت الإشارة إليه ، فضلا عن اشتراطه الإحالة أو التعريف ، بحيث لا يكون أبدا نكرة .

أما التوافق بين النظريتين فيتمثل في الوجه الإعرابي الثاني المشار إليه آنفا الذي اتفق عليه أغلب النحاة

القدماء بإعراب " كتاب ورجل " في الجملتين(30، 31) فاعلا سد مسدا الخبر، كما سبق الحديث عنه ، على اعتبار أن تركيب الجملتين السابقتين مصدرة باستفهام ، يسمح بإعراب ما بعد شبه الجملة فاعلا سد مسد الخبر، وبذلك تلتقي النظريتان كما سبق شرحه في إسناد الوظائف التركيبية(النحوية) ، فهي نفسها في النظريتين مع خلاف بسيط في العبارة والمصطلح بينهما ، ويختلفان في إسناد الوظائف التداولية ، كما سبق توضيحه ..

ويبدو الخلاف عميقا بين النظريتين في الجملتين الأخيرتين (32 ،33) ، فالمركب الاسمي " كتاب " في الجملة(32) في النحو القديم " مبتدأ مؤخر" والظرف " عندي " خبر مقدم ، والمركب الاسمي " رجل " في الجملة (33) مبتدأ " لأنه تضمن معنى الجنس أو العدد ، تقديره(رجل في البيت لا امرأة ، أو رجل في البيت لا رجلان)،وشبه الجملة " في البيت " خبر..

غير أن المركب الاسمي " كتاب " في الجملة (32) ليس مبتدأ في النحو الوظيفي، باعتبار انتفاء شرطي الصدارة والإحالة المشار إليهما آنفا ، فضلا عن انتفاء خارجيته عن حمل الجملة ، لأنه مكون داخلي من مكونات الحمل في الجملة ، على اعتبار أنه موضوع(مسند إليه) في البنية الحملية (الإسنادية) للجملة ، فهو إذن محور في النحو الوظيفي ، تصدرته بؤرة مقابلة ، لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين أطراف عملية التخاطب (المتكلم والسامع)[15] ، وبالتالي فإن المحور مكون داخلي ، لا يشترط فيه الصدارة ولا الإحالة مثل المبتدأ ، إلا إذا كان متصدرا للجملة ، كما أن المركب الاسمي " رجل " في الجملة(33) ، لا يكون أبدا مبتدأ لانتفاء شرط الإحالة وانتفاء خارجيته عن حمل الجملة ، فهو مكون داخلي من مكونات الحمل في الجملة على اعتبار أنه موضوع(مسند إليه) في البنية الحملية (الإسنادية) للجملة ، فهو هنا يحمل وظيفة تداولية غير وظيفة المبتدأ ولا وظيفة المحور ، لأنه لا يدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والسامع ، فهو في النحو الوظيفي بؤرة مقابلة ، يمكن أن تتصدر الجملة ولا تخضع لقيد الإحالة مثل المبتدأ أو المحور[16] ، هذا على مستوى إسناد الوظائف التداولية ، أما على مستوى إسناد الوظائف التركيبية النحوية ، فإنها غائبة تماما في النحو القديم في الجملتين(32،33) وحاضرة دائما في النحو الوظيفي

الذي لا يكتفي بالوظائف التداولية على حساب الوظائف الدلالية أو الوظائف التركيبية النحوية ، فهو هنا يسند الوظيفة التركيبية الفاعل للمركب الاسمي " كتاب " في الجملة (32) وللمركب الاسمي " رجل " في الجملة (33)[17] .

3 . تقييم عام للنظرية النحوية القديمة والنظرية النحوية الوظيفية الحديثة :

يمكن في نهاية هذه الدراسة أن نجري مقارنة بسيطة بين نظرية النحو الوظيفي ونظرية النحو القديم في مجالين أساسين :

3 . 1 في المجال العلمي النظري : ونعني به مجال التنظير وما يرتبط به من جهاز مصطلحي لدراسة وتحليل وتفسير الظاهرة اللغوية(صوتية ، دلالية ، نحوية ، تداولية ..) بصفة عامة ، ومجال تركيب الجملة باعتبارها الوحدة الأساسية لعملية الفهم والتفاهم في عملية التبليغ (التواصل) بصفة خاصة .

ومن هذا المنطلق العام نجد جملة من التقاطعات والتشابهات بين النحو الوظيفي والنحو القديم ،يمكن أن نلخصها في الأمور التالية :

أ . التشابه في دينامية الجملة وحركيتها بين النظريتين :

يميز في النحو الوظيفي على مستوى أي جملة(فعلية أو اسمية) حملا نوويا ، يتكون من موضوع أو موضوعين أساسين ، ثم تتوسع بإدخال مكونات داخلية اللواحق إلى يساره أو إلى يمينه ، كما يمكن أن تتوسع بإضافة المكونات الخارجية الوظائف التداولية الخارجية إلى يسار أو يمين الحمل النووي أو الموسع. .

وبنفس الديناميكية أو الاستراتيجية ، تميز النظرية النحوية القديمة على مستوى كل جملة(فعلية أو اسمية) بنية إسنادية نووية ، تتكون من مسند ومسند إليه ،تتوسع إلى اليسار أو إلى اليمين بإضافة مكونات ، قد تكون أساسية (عمدة) كالمبتدأ الأصلي والمبتدأ المؤخر والمبتدأ الوصف أو المبتدأ المؤخر ، وغير أساسية أي (الفضلات) كالحال والصفة والمفاعيل..

ب . التشابه في توزيع الوظائف التركيبة النحوية بين النظريتين :

يوزع النحو الوظيفي على مستوى الجملة الفعلية ضمن الحمل النووي أو الموسع وظيفتا الفاعل والمفعول ، وهو التوزيع الذي نجده في النحو القديم في الجملة الإسنادية الفعلية البسيطة التي يكون فعلها لازما يكتفي بفاعله ، أو يكون فعلها متعديا ، لا يكتفي بفاعله. كما يلاحظ على مستوي الجملة الاسمية ضمن الحمل النووي أو الموسع ، توزيع وظيفتا الفاعل والمفعول، بعد (المركب الوصفي ، أو المركب الاسمي ،أو المركب الحرفي ، أو المركب الظرفي) في النحو الوظيفي ، ونجد التوزيع نفسه للفاعل والمفعول في النحو القديم ، بعد المبتدأ الوصف[18]

ج . التقاطع في توزيع الوظائف التداولية والدلالية :

نعني بالتقاطع نقاط الالتقاء والتشابه بين النظريتين ونقاط الاختلاف بينهما ، وفي هذا السياق يلاحظ تقاطع النظريتين في وظيفة المبتدأ حيث تتشابه النظريتان على مستوى الجملة الموسعة تشابها يصل إلى حد الانطباق ،كما بينا في جملتي (19 ، 20) ، وتختلفان في الوظائف التداولية الملابسة أو المساوقة للمبتدأ كوظيفة الذيل والمحور وبؤرة المقابلة ، التي تقابلها في النحو القديم على التوالي : المبتدأ المؤخر، والمبتدأ الوصف ، والمبتدأ النكرة(المسوغة للابتداء).

أما الوظائف الدلالية ، فقد كانت غائبة تماما في النظرية القديمة ، إن على مستوى الجملة الفعلية أو الجملة الاسمية ، فقد كان النحو القديم انطلاقا من توجه عاملي محض ، يسند الوظائف التركيبية (أو النحوية) ، الفاعل والمفعول إن على مستوى الجملة الفعلية أو الاسمية ، دون ذكر للوظائف الدلالية المقابلة لها ، كوظيفة " المنفذ وما يحاقله ، والمتقبل أو المستقبل أو المستفيد "[19] ، أما الوظائف الدلالية : الزمان والمكان والحال والعلة والحدث والمصاحب .. فتعتبر في نظرية النحو القديم وظائف تركيبية نحوية خاضعة لشروط عاملية ، أدرجتها تحت أبواب نحوية ، هي التوالي : المفعول فيه(الزمان والمكان) والحال ، والمفعول لأجله (العلة) ، والمفعول المطلق(الحدث) والمفعول معه (المصاحب) ..

2 . 3 في المجال التعليمي البيداغوجي :

تظهر أهمية النظريات اللغوية قديما وحديثا في مدى قابليتها للتطبيق وتقديم العون لتخصصات مجاورة أو قريبة منها ، كتحليل النصوص وتفسيرها ، والنقد الأدبي ، وتعليمية

اللغات والترجمة ، وسنكتفي في هذا السياق بتقديم لمحة مختصرة عن إمكانية استثمار نظرية النحو الوظيفي الحديثة في مجال تعليمية اللغات لأبنائها أو للناطقين بغيرها .

انطلاقا من تشابه النظرية النحوية القديمة والنظرية النحوية الوظيفية الحديثة ، في حركية الجملة وتوزيع الوظائف على بنيتها العامة(فعلية أو اسمية) يبدو أن نظرية النحو الوظيفي الحديثة مرشحة أكثر من النظرية النحوية القديمة لتحقيق الكفاية البيداغوجية[20]، فهي تستجيب للنتائج الدراسات النفسية الحديثة في مجال الإدراك والاكتساب،وللطرائق التعليمية الحديثة،خاصة المقاربة التبليغية(**L'approche communicative**) ، والمقاربة بالكفاءات(**L'approche par Compétences**) التي اشتهرت كمنهجية جديدة لتعليم اللغات في المدة الأخيرة ، إن لأبنائها أو لغيرهم ،فضلا عن استجابتها لعبقرية النحو العربي القديم من داخله لا من خارجه،باستيعابها لمفاهيمه العلمية الدقيقة وتصحيحها لبعض المفاهيم المضطربة أو الملتبسة، كما سبين في مكانه المناسب ، وتستجيب بعلمية لدعوات تيسير النحو العربي ، وللخصائص الذهنية والنفسية لتعليمية اللغات لأبنائها ، وخاصة للناطقين باللغات الأخرى.

أ . الاستجابة لمبادئ التيسير:

أخذ مفهوم تيسير النحو في أدبيات بحوثه معاني مختلفة،أهمها:التخفيف على المتعلمين بإلغاء بعض الأبواب النحوية،أو اختصار بعضها الآخر، تبسيط القواعد ، البعد عن التعقيدات الذهنية والفلسفية أثناء الشرح...

لعل المدقق في نظرية النحو الوظيفي،يلاحظ أنها شملت كل هذه المعاني؛فهي جد مختصرة،أبوابها محدودة في جملة من الوظائف الأساسية : وظيفتان نحويتان فقط(الفاعل والمفعول)[21]،وخمس وظائف تداولية أساسية، وبعض الوظائف الدلالية الأساسية التي لا تتجاوز أصابع اليدين،يسهل التعرف عليها؛لأنها من معطيات القدرة الإدراكية المرتبطة بخبرات الناس وتجاربهم[22].

إن هذه الوظائف سهلة ميسرة،ملائمة للمنطق اللغوي،بعيدة عن المنطق الأرسطي الجاف الذي يثير الحيرة والاستغراب أحيانا؛ وكمثال على ذلك نأخذ الجملة الموالية :

43. مات الرجل

إذ يعرب(الرجل) في النحو القديم فاعلا،ألا يثير هذا الإعراب حيرة لدى المتعلم، بعد أن كنا قد قلنا له أن الفاعل يقوم بالفعل.

لكن الحيرة تزول،إذا أسندنا له الوظيفة الدلالية،فنقول : إن(الرجل) يحمل وظيفة(المتقبل)؛أي يتقبل الموت(في ثقافتنا الإسلامية) أو وظيفة(الهدف) في(الثقافات الأخرى)،وعندها يزول اللبس تماما بين وظيفة الفاعل،كخاصية بنيوية ترتبط بالموقع والعلامة الإعرابية،وبين الوظيفة الدلالية التي تسند إلى الفاعل،باعتباره ذاتا (منفذة أو متقبلة...) ، تقوم بالفعل أو تتقبله .

وهكذا تختفي كل الالتباسات بإسناد الوظائف الدلالية،ولا يضيرنا إذا قلنا مثلا :إن(المسمار) مفعول به في الجملة العربية المشهورة :

44 . خرق الثوب المسمار

بإسناد الوظيفة الدلالية(القوة) إلى المسمار التي تحدث واقعة الخرق،كما لا يضيرنا أن نقول:إن الثوب فاعل،إذا أسندنا إليه الوظيفة الدلالية(الهدف أو المتقبل).

ومما يجدر إثباته في هذا الصدد أن المكونات التي تأتي بعد الحمل النووي في الجملة،وهي تلك المكونات التي كانت مدرجة في النحو القديم ضمن أبواب نحوية كثيرة،عرفت بالمنصوبات،كانت ترهق المتعلم بتعددها،وكثرة شروطها وقيودها التي لا يجني منها المتعلم شيئا يفيده في إتقان اللغة العربية،قد أصبحت في نظرية النحو الوظيفي ممثلة بجملة من الوظائف الدلالية،التي يسهل على المتعلم إدراكها بسهولة؛إذ تؤكد الدراسات السيكولسانية المتعلقة بمجال اكتساب الطفل للغته الأم،أن المعارف الكامنة وراء ملفوظات الطفل،هي بالدرجة الأولى معارف دلالية ، فالمفاهيم التركيبية(ف.فا.مف) بحكم طابعها التجريدي،تتولد انطلاقا من المفاهيم الدلالية(منفذ،عمل، مستقبل..)،إذ أن الطفل عادة ما يعبر عن العلاقات الدلالية،قبل العلاقات التركيبية[23].

ب . الاستجابة للخصائص لغات الناطقين بغير العربية :

يظهر ذلك بوضوح في كون أغلب اللغات الطبيعية في العالم،وعلى رأسها اللغات الهندوأوروبية،لا تخرج أنماط بنياتها عن البنيات الثلاثة المشهورة (فا.ف.مف) بالنسبة للغات الهندوأوروبية،ونمط (.مف. ف .فا) بالنسبة للغات الطورانية ، ونمط (ف.فا.مف) بالنسبة للغات السامية،التي تنتمي إليها اللغة العربية[24].

وانطلاقا من هذه الأنماط البنيوية الأساسية،تتوسع البنية الحملية النووية،لجمل اللغات الطبيعية،بإضافة مكونات أو عناصر إلى يسار أو يمين أو حشو الحمل النووي،حيث تأخذ هذه المكونات وظائف دلالية وتداولية،ذات طابع كلي قريب من لغة المتعلم الأم،وحتى الوظائف التركيبية،اتسعت دائرة تشابهها،بفضل تقليصها إلى وظيفتين فقط ؛حيث يصل التقارب إلى درجة المطابقة تقريبا مع الجملة الاسمية البسيطة فمثلا :

45 . (**Ali est malade**)

حيث يكون(**Ali**) فاعلا، وهو في جملة :

46 . علي مريض

فاعل أيضا،بخلاف ما هو معروف في النحو القديم الذي يعتبره مبتدأ،إذ خلط النحاة القدماء في مثل هذه الجمل بين الخصائص المقامية والخصائص التركيبية،مما أدى بهم إلى الاضطراب،فمثلا في جملة

47 . أقائم زيد

يجوز إعراب زيد فاعلا أو مبتدأ،أما في جملة :

48 . أقائم الزيدان

فيتفق النحاة على إعراب(الزيدان) فاعلا،ولا يجوز إعرابه مبتدأ ، كما أن الضمير" أنت " في الآية

الكريمة:

49 . " أراغب أنت عن آلهتي ، يا إبراهيم " مريم /46

يجب أن يعرب فاعلا ، ولا يجوز أن يعرب مبتدأ .

غير أن نظرية النحو الوظيفي التي تميز تمييزا دقيقا،بين الخصائص البنيوية والخصائص المقامية،تسند وظيفة الفاعل للمكونات السالفة الذكر،إذا تعلق الأمر بالخصائص التركيبية،ووظيفة المحور بالنسبة للخصائص المقامية،وهذه التفرقة ليس من شانها تضييق الاختلاف بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الحية الأجنبية فحسب،بل تريح المتعلمين ـ من أبناء العربية وغير أبنائها ـ من كثير من التعقيدات والجوازات والتقسيمات المعروفة في باب المبتدأ في النحو القديم ، وعلى رأسها مسوغات الابتداء بالنكرة التي فاقت في بعض

المؤلفات النحوية الثلاثين[25]،وهو ما يصلح أن يكون قاعدة مطردة في الفاعلية،خصوصا وأن فاعلية الاسم الذي يأتي بعد المركب الوصفي(اسم الفاعل والمفعول...) ليست غريبة على النحو العربي،فأغلب النحاة القدماء متفقون على إعراب الاسم الذي يأتي بعد ما سموه(المبتدأ الوصف) المعتمد على استفهام أو نفي فاعلا.

والخلاصة التي يمكن أن نصل إليها،بعد هذا البسط الموجز، هي التساؤلات التالية: أي ضرر يصيب اللغة العربية،إذا أعدنا الأمور إلى نصابها،في ضوء نظرية النحو الوظيفي؟ ألا يصبح النحو العربي أسهل وأقرب من المتعلمين الناطقين بالعربية ،وخاصة الناطقين بغير العربية؟ ألا تكتسب اللغة العربية من تلك النظرية مرونة وحيوية في الدراسة والتدريس؟

كما أن التفرقة بين الوظيفتين التداوليتين المبتدأ والمحور مهمة ، باعتبار الأولى وظيفة خارجية عن حمل الجملة ، واعتبار الأخرى وظيفة داخلية من مكونات الحمل ، فضلا عن اختلاف الخصائص البنيوية والتداولية بينهما ،كما سبق تفصيله ، ومن شأن هذه التفرقة،أن تزيل الاضطراب الذي وقع فيه نحاتنا،بجعلهم المحدث عنه داخل الحمل تارة مبتدأ،أي خاصية تداولية من خصائص الوضع التخابري في المقام،وأخرى فاعلا،أي خاصية تركيبية ، كما فصل سابقا .

إن الاعتماد على مفاهيم مصطلحات النظرية الوظيفية،لا تسهم في تخليص النحو العربي من لاضطراب فحسب،بل تجعله نحوا ميسرا،خاليا من التعقيدات والشروط والقيود،التي تثقل كاهل المتعلمين دون فائدة،فالتفرقة مثلا بين المبتدأ والمحور،تريح المتعلم من كثير من التعقيدات،والتقسيمات والجوازات في باب المبتدأ ، في النحو القديم،على رأسها مسوغات الابتداء بالنكرة،التي فاقت في بعض المؤلفات النحوية ثلاثين مسوغا، وهو عدد يصلح أن يكون قاعدة مطردة في الفاعلية كما سبقت الإشارة إليه . من شأنها أن تخلص المتعلم من الحيرة بين المبتدأ الوصف والفاعل الذي يسد مسد الخبر،كما أن اطراد الفاعلية يسهم إسهاما فعالا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها؛إذ يجعل بنيتها المحورية أو المبتدئية،تخضع تماما للوظائف النحوية والدلالية والتداولية ، في لغة المتعلم الأصلية .

أضف إلى ذلك،أن النظرية الوظيفية ميسرة بطبيعتها،فهي جد مختصرة،أبوابها معدودة في جملة من الوظائف:وظيفتان نحويتان فقط،خمس وظائف تداولية أساسية،وبعض الوظائف الدلالية الأساسية،التي لا يصعب التعرف عليها،لأنها من معطيات الإدراك

البسيط المرتبط بخبرات الناس وتجاربهم،فهي سهلة ميسورة،بعيدة عن المنطق الذهني الجاف الذي كان في النحو القديم يثير الحيرة والاستغراب .

وبخصوص الوظائف التداولية على مستوى الجملة أو الملكات على مستوى النص،فإن النظرية الوظيفة تكون أقرب نظرية وأكفأها مع الطرائق التعليمية الحديثة،وخاصة المقاربة التبليغية، أو المقاربة بالكفاءات التي تنسجم مهاراتها مع ملكات النظرية الوظيفية.

يتضح مما سبق عرضه،أن نظرية النحو الوظيفي لا تتميز بسماتها الحداثية فحسب ، بل تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، فهي تستجيب لعبقرية النحو العربي من داخله ، باستيعابها لمفاهيمه العلمية الدقيقة،وتصحيحها لبعض المفاهيم المضطربة أو الملتبسة فيه،كما سبقت الإشارة إليه .

ملحق :شواهد الدراسة :

1 . هذا عبد الله منطلقا

2 . عبد الله منطلق

3 . مدينة أبها تمتاز بشواطئها الجميلة

3 . مدينة أبها ، تمتاز بشواطئها الجميلة

4 . مدينة أبها ، تمتاز بجوها المعتدل

5 . السقنقور جميل

6 . ما هو السقنقور؟

7 . رجل ، سافر أبوه

8 . سافر أبوه ، علي

9 . علي ،**هل** حضر الاجتماع اليوم ؟

10 . علي ،**لم** يحضر الاجتماع اليوم

11 . علي ، سافرت أخته إلى العاصمة ، أو

12 . علي سافر إلى العاصمة

13 . علي ، أمسافر أخوه ؟

14 . البيت ، شرب صاحبه قهوة

15 . البيت ، شربت نوافذه قهوة

16 . البيت شرب صاحبه تفاحة .

17 . علي ، تدرس أخته في الجامعة

18 . علي أخواه مسافران

19 . علي ، مسافر أبوه

20 . علي ، سافر أبوه

21 . سافر أبوه ، علي

22 . علي مسافر

23 . علي في البيت

24 . علي أمام البيت

25 . علي أسد

26 . أمسافر علي ؟

27 . أفي البيت علي ؟

28 . أأمام البيت علي ؟

29 . أأسد علي ؟

30 . أفي البيت رجل ؟

31 . أعندك رجل

32 . عندي كتاب

33 . رجل في البيت

34 . أعجبني علي ، سلوكه

35 . جاء علي ، بل خالد

36 . أقائم الولد

37 . أقائم الولدان

38 . أقائم الأولاد

39 . " فائز أولو الرشد

40 . فتح علي الباب

41 . مات علي البارحة

42 . انفتح الباب

43. مات الرجل

44 . خرق الثوب المسمار

45 . (**Ali est malade**)

46 . علي مريض

47 . أقائم زيد

48 . أقائم الزيدان

49 . " أراغب أنت عن آلهتي ، يا إبراهيم " مريم /46

الهوامش:

(1) ينظر :سبويه ، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، ج1 القاهرة 1408 هـ 1988 م ، ص : 23

(2) نفسه ، ص : 25

(3) ينظر ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، ج1 القاهرة . د ت ص : 85

(4) نفسه ، ص : 87

(5) أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية،دار الثقافة،الدار البيضاء . 1985 ، ص : 115

(6) أبن يعيش : شرح المفصل ، مرجع سابق ، ص : 88

(7) أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص ص: 116 . 117

(8) نفسه ، ص : 128

(9) نفسه ، ص : 76

(10) ينظر : ابن عقيل(بهاء الدين عبد الله بن عقيل) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث ، ج 1 ط20 القاهرة 1400 هـ 1980 م ، ص ص : 188 . 199

(11) يحي بعيطيش :نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ،أطروحة دكتوراه دولة مرقونة،مكتبة جامعة قسنطينة 2006 ، ص : 497

(12) ينظر :شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مرجع سابق ، ص ص : 209 . 212

(13) نفسه : صص : 192 . 193

(14) ينظر :يحي بعيطيش : نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، مرجع سابق ، ص : 208

(15) أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية ، مرجع سابق ، ص : 138

(16) نفسه ، ص : 141

(17) يحي بعيطيش :نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، مرجع سابق ، ص :36

(18) يحي بعيطيش : النحو العربي بين التيسير والتعصير ، نشر ضمن أعمال المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001 ، ص : 136

(19) نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ، مرجع سابق ، ص :208

(20) نفسه ، ص : و(واو)

(21) أحمد المتوكل :دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ،دار الثقافة،الدار البيضاء.ص : 37

(22) يحي بعيطيش : النحو العربي بين التيسير والتعصير ، مرجع سابق ، ص ص : 37 . 38

(23) الغالي أحرشاو:السيكلوجية اللسانية ومنهجية تدريس اللغة الأم،محاضرة منشورة في وقائع الملتقى المغاربي بتونس، منشورات المعهد القومي، وزارة التربية، تونس1995.ص:23.

(24) عبد القادر الفاسي الفهري:اللسانيات واللغة العربية.منشورات عويدات.بيروت1986.ص :271

(25) ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، مرجع سابق ، ص : 227

المراجع المعتمدة :

1 . سبويه ، أبو بشرعمر بن عثمان بن قنبر: الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط3 ، ج1 القاهرة 1408 هـ 1988 م .

2 . ابن يعيش موفق الدين : شرح المفصل ، إدارة الطباعة المنيرية ، ج1 القاهرة . د ت

3 . ابن عقيل(بهاء الدين عبد الله بن عقيل) : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد دار التراث ، ج 1 ط20 القاهرة 1400 هـ 1980 م

4 . أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية،دار الثقافة،الدار البيضاء . 1985

5. أحمد المتوكل : دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي ، دار الثقافة،الدا رالبيضاء .

6 .عبد القادر الفاسي الفهري:اللسانيات واللغة العربية.منشورات عويدات.بيروت1986

7 . يحي بعيطيش :نحو نظرية وظيفية للنحو العربي ،أطروحة دكتوراه دولة مرقونة،مكتبة جامعة قسنطينة 2006

8 . يحي بعيطيش : النحو العربي بين التيسير والتعصير ، نشر ضمن أعمال المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2001

9 . الغالي أحرشاو: السيكلوجية اللسانية ومنهجية تدريس اللغة الأم،محاضرة منشورة في وقائع الملتقى المغاربي بتونس، منشورات المعهد القومي، وزارة التربية، تونس1995.